Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن يحرروا المدينة فى أوائل مايو ١١٠٢ م ، أى بعد ثمانية أعوام من احتلال السيد .

ولقد عانى أهل بلنسية من أهوال الاحتلال مالم يعانه أحد قبلهم ، ذلا وجوعًا واسترقاقًا ، ومع ذلك فإن سقوط بلنسية لم يكن له من الصدى بين الشعراء ما كان لسقوط طليطلة . وليس بين أيدينا من شعر فى المصادر العربية ، يتحدث عنها ، ويعرض لما أصابها غير أبيات قليلة ، أربعة أبيات **لابن خفاجة** (١٠٥٨ – ١١٣٩ م) ، هى بالوصف ألصق منها بالرثاء ، ويبدو صاحبها مسرفًا فى الحياد والموضوعية ، لا تنضح بعاطفة ، ولا تنم عن تأثر ، ولا توحى بالمناسبة التى قيلت فيها ، وهى كما تصدق على بلنسية اجتاحها العدو ، وعبث بجلال أهلها المسيحيون ، يمكن أن تنطبق على أية مدينة أخرى دهمها السيل أو عاثت بها الحرائق قدرًا وعلى غير تدبير . وهى أقرب لأن تكون مقدمة طللية لقصيدة جاهلية ، تبكى رسومًا دوارس فى صحراء مرملة ، من أن تكون رثاء لبلنسية ذات الجنان النضرة ، والحضارة الخضرة ، والمرفأ الزاخر بالحياة وبالناس :

عاثتْ بساحتك الظُّبا يادارُ ومحا محاسنَك البلى والنارُ
فإذا تردّد فى جنابك ناظرٌ طال اعتبارٌ فيك واستعبار
أرض تقاذفت الخطوبُ بأهلها وتمخَّضت بخرابها الأقـــدار
كتبت يدُ الحدثان فى عَرَصاتها لا أنتِ أنتِ ، ولا الديار ديارُ

عجيب أن يكون ذلك رثاء ابن خفاجة لبلنسية موطنه ، وهو الذى وهب مغانى الأندلس شعره ، ووقف على تصويرها فنه ، وعب من لذاذتها حياته ، وتعلق بها أرضًا وماء ، وشجرًا وسماء ! .

لكن مرثية أخرى أتصورها رائعة ، لأن صاحبها كان أديبًا وشاعرًا وعالمًا ولغويًا ، ولأن مناسبتها كانت مثيرة وملهمة ، ضاعت فى زحام الأحداث ولم يصلنا عنها شىء فى المصادر العربية ، حتى ولا مجرد إشارة ، واحتفظت بها اللغة القشتالية نصًا مترجمًا إليها فى أقدم مدوناتها .

كان دوزى (١٨٢٠ – ١٨٨٣ م) أول من وقعت عينه على هذه المرثية ، ذلك أن